مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023) ص 356/ 364

الأنساق الثقافية والخطاب الديني المعاصر. التلقّي والمفهوم عند الجابري

Cultural Stereotypes and Contemporary Religious Discourse - Receipt and Conception at Al-Jabri

د. جلول سليم حمريط*

جامعة عبد الله مرسلي تيبازة(الجزائر)

djelloulsalim@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2023/04/06

تاريخ القبول: 2023/04/19

الكلمات المفتاحية:

- ✓ نسق
- ✓ خطاب
- ✓ مفهوم
- ✓ ثقافة
- ✓ منهج

الملخص:

تسهم الأنساق الثقافية بشكل لافت للنظر، في إثراء فسيفسائية التمثلات والأنساق،في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،وتُعدّ شكلا من أشكال التقاء دراسات الخطاب في العلوم الإنسانية ،وقد تتحول إلى لبنة إيجابية ،وتصبح أساسا لتجسيد المراهنة على التلقي والتأويل،عند حدود فعل القراءة، في ضوء المقاصد الذهنية، وبذلك تأخذ مكانة بارزة ، من خلال جودتها بغية الارتقاء بأهمية الخطاب، بالتجريب الإبداعي،لاستخلاص قيمة ناجعة لمجريات الخصائص اللسانية ،والقضايا الفكرية التي عاشها الحقل المعرفي، ولئن عرفت العلوم الإنسانية، صورة مربكة، وتحولت الفضاءات التحليلية،إلى اعتبارات نفسية وبويطيقية، وفنية كعقبة تحول دون تحقيق، وظيفة استراتيجيات العناصر، المتعلقة بنظريات الخطاب من جهة، ومناهج الملفوظات الغامضة من جهة أخرى ، لبناء رسالة موجهة إلى المتلقي ،مثل ما أسلفنا، فإلى أي هدف يمكن رصد مظاهر استحسان وتنوعات درجة التلوين في الأنساق الثقافية؟وكيف تتنوع روافدها؟وما مدى مساهمتها بشكل إيجابي في رسم خارطة تمثلات الخطاب، بما يملي إحداثه في ذهن المتلقي؟

Article info

Received 06/ 04 /2023

Accepted 19 / 04 /2023

Keywords:

- ✓ *modèle*
- ✓ *discours*
- ✓ *concept*

Abstract :

Les modèles culturels contribuent de manière significative à l'enrichissement de la diversité des représentations et des modèles dans les sciences humaines et sociales. Ils constituent une forme de rencontre entre les études de discours dans les sciences humaines et peuvent devenir une pierre angulaire positive pour incarner les paris de réception et d'interprétation, aux limites de l'acte de lecture, à la lumière des objectifs mentaux. Ainsi, ils prennent une place importante en raison de leur qualité pour améliorer l'importance du discours, à travers une expérimentation

*المؤلف المرسل

créative, pour extraire une valeur efficace des caractéristiques linguistiques et des problèmes intellectuels que le champ cognitif a vécus. Bien que les sciences humaines soient complexes, et que les espaces analytiques se soient transformés en considérations psychologiques, épistémologiques et techniques en tant qu'obstacles à la réalisation de la fonction stratégique des éléments liés aux théories de discours d'une part, et aux méthodes de notes mystérieuses d'autre part, pour construire un message destiné au destinataire, comme nous l'avons mentionné, dans quel but peut-on repérer les manifestations d'approbation et les variations de la coloration dans les modèles culturels? Et comment varient leurs affluents? Et quelle est leur contribution positive à la cartographie des représentations de discours, en dictant ce qui se passe dans l'esprit du destinataire?	✓ *culture* ✓ *approche*

. مقدمة:

الأنساق الثقافية والخطاب الديني المعاصر

الأنساق الثقافية حسب جوهرها ، ليست نظام علامات فحسب ،بل هي نظام تواصلي قبل ذلك ، انطلاقا من نموذج المعالجة الاستراتيجية للخطاب ،باعتبار تجدّد المعارف في كل حين ولحظة ،وتتجدد معها الاهتمامات وأسس الخطاب .

وقد شكّل الخطاب الديني استراتيجية واسعة في لسان العرب كمرجعية لغوية ثرية، فمادّة **خطب** استهلكت ما يعادل أربع صفحات تعج معظمها بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية, وغيرها من شعر وأقوال .

وفي القرآن الكريم وحده تكررت لفظة الخطاب الديني عدة مرات ومرّات .

وكيفما كان التناول فإن مادة خطب: تعني الأمر الذي تقع فيه المخاطبة , وهو بمثابة رسالة تحمل في طياتها خطابا, والخطاب ينطوي على مشروع ذا أهمية ,أو هو الأمر والشأن ,والسبب الذي وقع من أجله الخطاب، هكذا ورد في معظم المعاجم.

اشتقت لفظة الخطابة من الخطب أي:الأمر الجلل "لأن الخطابة تقوى إبّان الخطوب بين القبائل وهي نوع من النثر الفني يراد به إقناع السامع بما يريده الخطيب, وهي فن إقناع السامعين والتأثير فيهم بشرط أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال, أي موافقا للزمان والمكان والبيئة الاجتماعية ومستوى العقلية للجماهير".**(سعد، 2006، ص156)**

لقد حثّ الإسلام على طلب العلم وتعهُّد العلوم الدخيلة ,فنقل الكثير من علم الغرب, فهاهو القرآن يدعو إلى العلم في غير آية:﴿وقل رب زدني علما﴾ طه 114,﴿والراسخون في العلم..﴾ آل عمران الآية 7 ,﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون...﴾الزمر الآية 9. **(غريب، 1980، ص18)**

والراسخون في العلم هم العلماء ,وقناة العلم هي الخطاب و قال تعالى:﴿ما خطبكما﴾القصص 23

أي ما الأمر وما الشأن ,وقال تعالى كذلك:﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾الذاريات الآية 31 أي ما الشأن العظيم الذي تريدون ,فوقع ذلك الاتصال بكلام لغوي يحمل خطابا .

ولعل ما يوضح أكثر غموض هذا التعريف," تعدد هذه المسالك النظرية التي يجوز أن يحتمله كل منها على الرغم, من التباعد الموضوع بينها".**(التوهالي، د س،ص12)**

وبذلك فالخطاب الديني ,من أهم دلالاته معنى التعامل،وهو ما تفرع عن المعاملات التخاطبية التي يرتكز عليها , ولا يكون التخاطب ذا فاعلية إلا إذا وجد صدى.

و الحديث الشريف وغيره من أقوال العلماء, بما حفل به من دعوة إلى العلم ,وإجلال المتعلمين يشدّ عضد الخطاب الديني باعتباره مركز الثقل، والكلية الخلفية للنص، بين الدلالة والتأويل، وبين التداولية والمسارات الجزئية أو مايسمى بالدلالة العقلية في مقابل الدلالة الوضعية .

كل هذه الأبعاد تدل في جوهرها على معنى التعامل, وإقامة علاقات تعاملية تفاعلية ,وهو مضمون الخطاب الديني الذي يتخذ فيه الكلام محورا هاما, وحيزا بارزا يكون فيه اللفظ بمثابة الوتر من القوس بل تبرز كلها مجتمعة على كيفية التعامل والتواصل بين جانبين أو طبيعتين تتفاوت مراتبهما ,باعتبار الإنسان هو خليفة الله في أرضه يمشي في مناكبها, وعيشه تحت رعاية الله دون عنف أو عداء ,ودون حقد أو دسائس, اعتمادا من أن الخطاب الديني له قوانينه الخاصة وطبيعته الخاصة,لا يطلب صدقة أو التماسا من الواقع , بل يلتمس صدقة من النص الذي يحكمه .

الواقع أن هناك كثيرون يجهلون الخدمات التي قدمها العرب للحضارة والعلوم ,بل إن هؤلاء من يعتقد أن العقل العربي لم يستطع في جميع الأدوار التي مرت عليه ,أن يقدم للمدنية خدمات علمية جليلة كالتي قدمها الغرب," وأنه لم يكن بين العرب من استطاع أن يصل علميا درجة غاليلو ونيوتن ...وغيرهم".**(طوقان، 1983، ص03)**

ولربما كان السبب الواضح بجدارة لذلك ,هو شدة التحامل الذي يوليه الغرب على التراث العربي أضف إلى ذلك ما أصاب العلوم العربية من إهمال واندثار.

بينما نجد أن العرب قد أولوا الخطاب الديني عناية لا يستهان بها ,وفي المشتقات القريبة من اللفظ الخطاب،الخطبة, والخطاب, والمخاطبة ,الخطب ...وغيرها وهي لا تذهب في دلالتها كثيرا عن سياق الحال والشأن اعتمادا على اللغة.

"فالإنسان كائن لغوي يفكر باللغة,ويختزل وجوده فيها ,ولا شيء له معنى يمكن إدراكه وفهم جوهره, خارج حدودها لا لسبب إلا لأن الأشكال الرمزية للدلالة لا تتحقق إلا بأشكال الأبنية الرمزية الفاعلة فيها".**(الحباشة، 2013، ص03)**

يتخيل البعض من قادة العقل البياني والفكر والحرية والبراعة الاستثنائية نحو والانطلاق والحناجر المدوية نحو تجديد الخطاب الديني وغير المعروفة من أصحاب الأقلام البارزة دون ضوابط أنهم مجددون في ركوب أساليب الخطاب الديني بغية تمريره كخطاب تجديدي معاصر.

2. نسق آليات الخطاب الديني :

ولربما يكون القصد امتطاء سلم الريادة بعلاج التخلف الحاصل ,أو بغية قصد آخر.

دون وضع نسق آليات الخطاب الديني في الحسبان وهي:

- الالتزام بالأفق اللغوي الثابت على جادة معالم الحق والصواب.
- الرجوع إلى السياق السليم وهو أصل ومنابع التدبر وإلى روافد عز الأمة .
- التجاوب الدقيق بشكل إيجابي مع القيم الواضحة الرؤية والقريبة العهد من المصدر الأم.
- إعمال الفكر المعرفي البحت باستخدام العقل المتبصّر في كل ما من شأنها الهيمنة والتمايز و إبراز جوهر الدين النظيف مما يواجه التجديد في المجتمع.

" فالهجوم على التفكير العقلي ,ورفض الخلاف والتعددية قديما وحديثا ,يمثل أساسا من الأسس التي يقوم عليها".**(يزيد، 1994، ص104)**

فاللغة باعتبارها مادة معلومة ,موجودة في تصوراتنا وأقوالنا وخطاباتنا ,ولذلك اكتست أهمية كبيرة وكانت محل انطلاق المدارس الخطابية الدينية ,وبذلك فهي تخضع للسياق التأويلي النصي.

ولذلك ظلت الخطابة بشكل عام ركاما من الآراء ,والخطاب الديني بشأن خاص ذا تأثير محكم ,وبخاصة كلما كانت تمجد الحق, وتدعو إلى الابتعاد وعن التعصب والسقوط والتدهور وإلى الفكر النير والصراط القويم .

" ويتدخل التلفظ باعتباره إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال ,في مصطلح التداولية كمفهوم للممارسة والتفاعل مع الآخر".**(ذهبية، 2012، ص129)**

فالخطاب الديني موغل في القِدم ببوصلة فكرية، مر بمراحل عديدة إلى غاية استوائه ,وعقول البشر تتفاوت في الاستيعاب، من حيث التكوين والدرجة العلمية ووصل فيما وصل إلى ما هو عليه الآن في صورة فارغة يملاها القارئ بما يريد تامة بقدر ما نعرفها .

"إن تخاطب شخصين يعني فرض اختيارات متعددة كطريقة الكلام وتركيب الجمل ... ثم موقف المتكلم إزاء مخاطبه من تحذير, تهديد ,أمر,نهي ... وما يدور بينهما من حديث".**(ذهبية، المرجع نفسه، ص132)**

ودِيننا يحثّ على المجادلة والمناقشة الحسنة ," وكل شيء في الإسلام قابل للمناقشة العقلية ابتداءً من وجود الله تعالى إلى أبسط المسائل".**(موسى، 1979، ص101)**

ومنه استمد الخطاب الديني قوته وازدهاره ,وأضاف إلى ألفاظه بعض التعديلات في الأدلة والبراهين ودحر الخصم بمختلف الحجج,فهي حافلة بفصاحة العبارة وذكر التفسير والتعليل للإفهام والتبيان .

"واختصار الدلالة يحكمه توتر متعدد ,توتر اللغة في دلالتها الذاتية مما جعلها قابلة لتعدد التفسير ,وكوثر دلالتها الباطنية على الوجود".**(حضري، 2010، ص21)**

وهو ما اعتمده البنيويون في تحليله للوصول إلى معنى الخطاب الديني بلغة غير مألوفة ومغايرة لما ألفه رجال الدين ,وهو ما اصطلح عليه في تفسير سورة الفاتحة باللحظة اللسانية والأنثروبولوجية التاريخية.

وفي هذا المقام تتضح لنا الإشكالية المطروحة وهي التي تتعلق بمعرفة الحدود الفاصلة بين وحدات اللغة ووحدات الإنجاز,أين تتوقف تداخلات اللغة.**(ذهبية، المرجع السابق، ص 90)**

ولربما مارس منطق التعامل كبار المفكرين والنخبة من الباحثين، وهم الذين يستطيعون فك شفرات بعض المفاهيم وكذا المصطلحات واستثمارها لصالح الخطاب الديني ,ومواجهة بعض الاعتراضات والطروحات مساهمة في تغيير الممارسات الدينية التي تقف حائلا أماما الوصول للمبتغى،ومن هذا المبتغى القيم التثقيفية التي تسربل الخطاب الديني .

والمبدأ الأساس في الإسلام أنه ﴿لا إكراه في الدين ﴾ البقرة 255,وهذا المبدأ ينطوي على أرفع معاني التسامح والحرية الفكرية.**(موسى، المرجع السابق، ص90)**

فالطرح في الوظيفة والآليات المعرفية للخطاب الديني ,تخلق كل الأفكار الجديدة والألفاظ الإيجابية لمحاولة إدراك مثالية الخطاب الديني ,لتأويله وفق قراءة مضيئة , بإيحاءات بناءة تخدم النص الخطابي .

"وقد حاول بعض أعداء الإسلام القدح عليه بعدة مسائل يبغون من ورائها إظهاره بالتعصب والقسوة في معاملة أصحاب الديانات الأخرى". **.(موسى، المرجع السابق،ص92)**

ورُمي بالخطاب الديني في متاهات وغياهب ,فأصبح مستعملوه في تناقص فكري واضطراب طائفي ,وتصدّر المنابر الخطابية من يأمر الناس وينسى نفسه , من يدعي تمثيل الحاثة ومن يدافع عن القيم والمثل والمبادئ ويدوس عليها بالتكرار الممل، من قصد أو غير قصد.

3.الخطاب نسيج من الألفاظ:

"الخطاب نسيج من الألفاظ ,والنسيج مظهر من النظام الكلامي الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه،من أجل ذلك نجد في بعض الأطوار الموضوعة يتكرر هو نفسه لدى أكثر من مبدع".**(مرتاض، 1999، ص34)**

فخطاب الفرد أو الجماعات يتسم أحيانا بفكر الفرد أو الجماعة نفسها،أي هو امتدادا طبيعي للفكر المعتنق مما يدّعي فقدان منطق التعامل وهو في جوهره إهدار للطاقة ومن دون ترشيد ,بسبب الموقف الإيديولوجي السالف الذكر.

"وتمكن الملكة المنطقية المستعمل،من اشتقاق معارف إضافية من معارف متوفرة لديه بواسطة قواعد استدلال".**(المتوكل، 2010، ص14)**

ومن خصائص العامة أنهم يجبُنون عن التفكير المستقل لأنه محتاج إلى استعداد فطري وإرادة وجرأة ,ثم يتعلقون بما يدين به المجموع ,وهم يتمسكون دائما بمظاهر الأمور ويقيدون أنفسهم بالألفاظ "كما أنهم شديدو الإجلال للأشخاص إذا اعتقدوا في شخص ما مقدرة ما تبعوه خطأ أم صواباً ذلك لأنهم قلما يستطيعون فهم المبادئ وقلما يفطنون لما يريد الشرع".**(فروخ، 1988، ص80)**

ولا يكاد ينقضي العجب عندما يكون هذا الشيء المقدم هو علاج التخلف التقني وهو ما يؤكد كونهم مقلدين للغرب في تعاملهم مع الدين انطلاقا من "أن كل نص نتلقفه ونؤوله فهو وثيق بالتأويل ".**(الشريف، 2004، ص42)**

وقد شكلت معظم التمظهرات الخطابية لدى الجابري إعادة بناء الذات من خلال قراءة جديدة سنأتي عليها، وقد اسماها بالقراءة التشخصية .

أما الخاصة: من ذوي الفطرة الفائقة فهم أهل التفكير. وهم فيما يتعلق بالدين "أشدّ غوصا على المعاني الروحية وأكثر رغبة في تأويل الألفاظ التي لا يوافق ظاهرها مقتضى المنطق والعقل".**(فروخ، المرجع السابق، ص80)**

فالواجب مواجهة تعدد القراء واختلاف شرائحهم بتطبيق منهجية محكمة على النصوص الدينية أيا كانت وحسب أوساطها وبيئاتها السياسية والاجتماعية والثقافية، مع توظيف جماليات التلقي عند كل شريحة من المجتمع حتى تتلقاها بنوع من المخايل الفكرية النافذة والمشكلة أصلا في أذهانها.

الرسل عامة لا يختارون إلا من الأفراد ذوي الانفتاح والابصار عن ذوي العقول النيرة والعزيمة وهم القدوة في مواطن الايمان والإحسان، الماضية والأخلاق الكريمة ومن ذوي المكانة في أقوامهم وعلى هذا قول الله تعالى:﴿وإذ جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نوتي مثلما أوتي رسل الله﴾الأنعام 06.**(فروخ، 1982، ص118)**

﴿ولكن الله يعلم أين يضع رسالته ﴾ الأنعام 125.

فالعلماء هم العالمون بأسرار الخلق التي أودعها الله على هذه الأرض وموضوع هذا الخطاب الديني خدمة الصالح العام،وهو نفسه موضوع العلم الطبيعي، فالعالم الطبيعي يبحث عن الأشياء الكونية وطبائعها وخواصها، والعلاقات التي بينها، والخطاب الديني بالتلقي أو السماع مشافهة أو كتابة نصية من دعاة ثقات في علمهم وعملهم، وهو المقيد في علم الاولويات.

يختلف الخطاب في تفكيكه من حيث حجمه, فيرد جملة أو سلسلة من الجمل أو نصاً متكاملا "كما يختلف من حيث نمطه فيكون خطابًا سرديًا أو خطابًا أو حجاجيًا أو خطابا فنيا أو خطابا علميا إلى غير ذلك من الأنماط الخطابية المعروفة ".**(المتوكل، المرجع السابق،ص21)**

وهذا العقل له حيز وحد، ينتهي إليه ومنزلة معينة يقف عندها، باعتبار ضوابطه ومعاييره، فيما اشكل أو التبس أو خفي، وهو ما تمليه المنظومة الفكرية في الخطاب الديني بنسق ثقافي.

وعلى هذا النحو لفت القرآن أنظار الناس فيما يتعلق بعقيدة الألوهية،أما فيما يتعلق بالرسالات عامة والخطاب الديني بوجه الخصوص فقد قامت الأدلة على أن القرآن من عند الله ... وأن الدعوة تنطلق منه وتعود إليه.

وإذا كانت الأنساق الثقافية قد اتهمت بالجمود من خلال التفسير بالمعنى الذي شرحناه "فإنما بعد عملية التأويل هما الدلالة والمغزى , يتوازيان مع الدلالتين اللغويتين لمصطلح التأويل".**(أبو زيد، المرجع السابق،ص144)**

فالقاعدة الأولى والثابتة إذن في الحكم الإسلامي هي التسامح الديني، "وقد درجت الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام بصفة خاصة على احترام كافة الأديان وعدم التدخل بين الإنسان وعقيدته أو منعه من القيام بشعائر دينية".**(موسى، المرجع السابق،ص93)**

والخطاب الديني مغالبة المبادئ الروحية والدعوة إلى استلزام النخبة بكثير من التناظر في ضبط خصائص العلامة التخاطبية للكشف عن تركيب انشائي يكون فيه من الأدلة ما يدعم الاعتبارات السياقية ومنهم من مارس الخطاب الديني بتلوينات نسقية وادعى امتلاك الحقيقة، وهذه الممارسات أفضت به إلى التأمل في مقولات عصرنا عصر التنوير.

4.الأنساق الثقافية والمجدّدون العصريون :

"المجددون العصريون لا يجمعهم حزب أو مؤسسة أو هيئة ,لكنهم مجموعة من الناس يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا , فهؤلاء منهم العلمانيون ومنهم الزنادقة والملاحدة ,ومنهم عملاء صليبيين ,كما أن منهم المسلمين المبتدعين والمسلمين المجددين يدعون للتجديد العصري".**(الشريف، المرجع السابق،ص47)**

والحرية الفردية مقيّدة بشروط ، ومضمونة بمعايير ، مالم تسيء إلى الانسان ، أو تعتدي على الحيوان وغيره ."هذه الحرية الفكرية المحددة هي التي أنقذت الإنسان من مصير الحيوان".**(موسى، المرجع السابق،ص15)**

ويمكن أن تحدد تضمينات الواردة في القول،أي ما تم تبليغه بصفة ضمنية فنتوصل إليه من خلال التأويل التداولي الخاص بالعمليات الاستدلالية،"ويكون منطلقها التأويل اللساني للقول".**(بوسنة، 2012، ص146)**

من أجل ذلك فكر **الجابري** في الحفاظ على ماء الوجه الأدبي للخروج من دائرة القدامى جملة وتفصيلا "والبحث عن سبيل أيسر وأشكال جديدة للتعبير".**(مرتاض، المرجع السابق،ص12)**

وقد أشار الجابري إلى مثل تلك القراءة المتبصرة، وأطلق عليها اسم القراءة التشخيصية المترفعة مثلما أسلفنا عن القراءة الاستنساخية السلفية.

فمقارنة النص الخطابي التراثي تتطلب يقظة وتبصرة لماهية تراثية النص وسياقاته التي أوجدته ناهيك عن التحولات المفهوماتية المذكورة فيه "والتي انفصلت كليًا أو جزئيا عن مفاهيمنا الحاضرة(مفاهيم العصر)".**(القادر، 2012، ص93)**

كما أن الجابري لم يتخذ موقفا عدائيا من التراث، أو نظرة متعالية عليه، وإنما دعا إلى فهم التراث بكل أنساقه وسياقاته الثقافية والدينية والسياسية ومحاولة إرساء مبدأ تفكيك هذه الأنساق المتنوعة وحفظها.

فوظيفة الحفظ والتبليغ مبرر قوي عنده ليسترجع السجع باعتباره إجراءً ترجيعيا ,مكانته بذهاب علة تحريمه خاصة وأن "عامل الإيقاع المبني على الاسترجاع والتكرار يُسهّل الحفظ".**(حضري، المرجع السابق،ص29)**

وضمن ذلك السياق ،وما لم يخرج بحيثياته ، عن شقّيه الزماني والمكاني "ولأنه خارج عن مفهوم الزمن مع قراءته ضمن دائرة السياق في شقيه الزمني والمكاني الذي وجد من أجله أو وجد فيه". **(عميش، المرجع السابق،ص95)**

إن تحديد الأفكار والحوادث والشخوص والبدايات والنهايات قد يعطيك فكرة واضحة إلى حد ما ولكنه لا يعطيك "بأي حال صورة متبلورة لخطاب ديني".**(يونس، 1990، ص71)**

إلا أن تمر عبر نقاط التفاعل التأويلي، وهي المنفذ الاستراتيجي الذي يمنحنا القدرة على عبور مسافات تأويلية مختلفة "ومنها استرجاع السيناريوهات التناصية التي تثبت في أذهاننا بعد قراءتنا للخطاب الديني".**(بوسنة، المرجع السابق،ص130)**

دون الاخلال بالنصوص والأنساق الثقافية في إيجاز مسهب أو فقرات معدودة .

والتراوح بين الإيجاز والإسهاب ,فقد تكون فقرات معدودة وتكون أكثر من ذلك فتطول الساعات".**(عروة، 2000، ص35)**

والجابري يضع النص في إطاره الموضوعي مع تجديد مضمونه وتطوير لغته، والاتكاء في تأويله على ما هو جديد، مواكبة لضرورات الحياة المعاصرة.

ولا يكتفي الخطاب الديني بذلك،بل يتجاوزه إلى ادعاء ضمني،وهو ما ارتبط بالعلل المذهبية.

والدافع في ذلك استنباط دقائق الشرع في الخطاب الديني "وتقرير تلك العلل علل المذهب وتمهيد الأصول".**(الخضري، 1981، ص180)**

والصراع الحضاري شيء لازم للحضارات, ويمثل سمة جوهرية في تكوينها "وربما يكون هو السبب الحقيقي وراء ازدهار الحضارات , وتفوق حضارة على الأخرى".**(إبراهيم، 1997، ص234)**

والمواقع الخطابية على مستوى النص المثبت الأكثر ابلاغا هي تلك المواقع التي تتجلى فيها الصورة الأدبية واللغوية والتي "تمثل أظهر الأماكن على مستوى النسيج اللغوي".**(عميش، المرجع السابق،ص07)**

وقد أشار الجابري إلى أنه من المستبعد أن تتحقق لدينا تلك الطفرة النهضوية من غير أن نعتمد ونستند علة تراثنا العربي الإسلامي وفق رؤية عصرية وبأدوات جديدة، كل ذلك خروجا من الصراع الأيديولوجي القديم حيث

كانت لغة الصراع حادة في العصور القديمة, يتراشقها الناس بصراحة فكل حضارة منتصرة تزهو بانتصارها وتنطق ثمرة نجاحها ,"وتتحدث بلغة القوة فتزعم لنفسها ولشعوبها المكانة اللائقة ".**(إبراهيم، المرجع السابق،ص234)**

وهو ما لا يعني مثلما يتصور الغرب أن الحداثة لها نسق واحد لأن جودة النص على صعيد الفهم والمعقولية

ولا تتحقق جودة النص الخطابي الديني إلا إذا تشكلت الصورة من فقه الشيء المتصور واستيعاب أبعاده وهيئته التكوينية.**(عميش، المرجع السابق،ص10)**

5.آليات الخطاب الديني:

1.5.الانطلاق من أرضية تراثية صلبة :

تنطلق الأنساق الثقافية من أهم المناهج المطروقة " وقد سبق أن أشرنا إلى أن المسلمين كانوا على وعي بوجود مجالات لفعالية النصوص،ومجالات اخرى لفاعلية العقل والخبرة،لا فعالية النصوص فيها ... وحين يستند الخطاب الديني المعاصر إلى هذا الجانب من التراث،فإنه يتعمد تجاهل الجانب الآخر،مثل اتجاه أصحاب الطبائع".**(أبو زيد، المرجع السابق،ص 86)**

وإذ يعتمد الجابري على الأسلوب المتجدد الحامل للغة والمضمون المتطورين، وتحقيقا للموضوعية، فإنه يركز أيضا على الفهم الجيد والأسلوب المنفتح والاستيعاب الدقيق.

"فهو مرتبط بالأسلوب الاستدلالي المعتمد فيها، والقائم على الجدال والمناظرة".**(بوسنة، المرجع السابق،ص108)**

كما أن تحديد القضايا والاشكاليات مبني على استقراء دلالات المفاهيم والالفاظ بإلغاء المسافة المعرفية بين الذات والموضوع .

"وبهذا التوحيد لا يقوم الخطاب الديني بإلغاء المسافة المعرفية بين الذات والموضوع،بل يتجاوز ذلك إلى ادعاء ضمني بقدرته على تجاوز كل الشروط،والعوائق الوجودية المعرفية".**(أبو زيد، المرجع السابق،ص78)**

وإذ يعتمد الجابري على الرؤية المنهجية التي تقوم على وحدة الإشكالية، انطلاقا من تاريخية الفكر ووحدته وهو ما "يردها إلى ذلك المبدأ الأول".**(أبو زيد، المرجع السابق،ص81)**

والعقل باعتباره صنيع الأصول اللغوية، يشكل الجانب الاصولي في الخطاب كذلك، لأن هذه الإجراءات تعتمد على الضبط وللضوابط أهل وقواعد "والقواعد التي تسير وفقها اللغة".**(منقور، 2001، ص18)**

وقد ترى بعض الأقلام أنهم النخبة وغيرهم من هم دونهم في المنزلة، وهذه الرؤية العتيقة الضيقة تجعل المتلقي مجرد فرد مأمور ينصاع بالامتثال وقد رأينا أفكارا و" أقلاما كثيرة جاهلة أو حاقدة أو مأجورة، خاضت في الموضوع بغير علم، كتاب منير".**(أبو زيد، المرجع السابق،ص89)**

ولا يمكن إقامة مجتمع أو أم ناجحة، مالم تكن لها مصفاة المقاصد التي تتقيد بقيد الشرع، ومصالح الامة متمثلة في أهل الفكر القويموهم الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم وتمنحهم ثقتها، وتنيبهم عنها،" في نظمها وتسريعها والهيمنة على حياتها".**(شلتوت، د ت، ص443)**

إن ما يؤسس لوجود نسق ثقافي، هو إمكانية صياغة مشروع محوري، يساعد على طرح وتفعيل الخطاب الديني وفق" مقاصد الشريعة معروفة مستنبطة بالاستقراء".**(الشريف، المرجع السابق،ص75)**

وفي هذا السياق يجدر بنا أن نؤكد على تطبيق المناهج اللسانية، والنقدية موافقة للفكر الفلسفي العربي في تجربته النسقية " واعتماد نصوصهم بوصفها نصوصا أولية تتمتع بقداسة النصوص الأولية ".**(أبو زيد، المرجع السابق،ص95)**

وقد تصبح التصورات متاحة إلى أبعد حد أو متاحة وفق مفهوم شعب الخطاب الديني، وشعب الارشاد"وتختلف شعب الإرشاد والمواعظ في الخطاب الديني،ومن بين هذه الشعب شعبة الأخلاق،بحيث يكون الربانيون الشهداء والصالحون،وفي ظلها يكون الأئمة والهداة والمرشدون،دعاة للأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس،وتصلح من شأن الفرد والجماعة،وتحذر الأخلاق السيئة التي تودي "بمعاني الانسانية الفاضلة وتسبب الشقاء في الحياة".**(شلتوت، المرجع السابق،ص479)**

ويأخذ الزمان والمكان مجالا كبيرا في الأنساق الثقافية، وهو ما يفسّره الواقع المعاش.

«...إن الحديث عن الزمان والمكان،يوقفنا أما تنظيم ثان .... إن تقنية المشاهد حين تنفرد بالدارس لبعض الوقت،تخفي عنه ما وراءها لانشغاله بعالمها الخاص .غير أنها تفتح في ذائقته سيلا من التساؤل المشروع عن العلل الحقيقية للتحولات الكبرى...».**(مونسي، 2010، ص ص 100- 104)**

وهو ما يستدعي تواجد متلق ، أو مستمع ، له قابلية ، الاستعداد لاستقبال فحوى الرسالة.

"وجود مستمع أو متلق مثالي مستعد لاستقبال الرسالة الإبلاغية،خال ذهنه من فحواها مسبقا".**(منقور، المرجع السابق،ص211)**

وفي الأخير يمكن أن نقول:أن الأنساق الثقافية أرضية خصبة للتأويل و الخطاب ثري بالدلالات المتعددة.

6. مختصرات الأنساق الثقافية وتجديد الخطاب عند الجابري:

- القيم الإيجابية متمثلة في عنصر الحداثة من حيث تقبّل الآخر ، والتعدّد المذهبي والحرية الفردية .
- التأكيد على فضح عملية ،ونيّة الاستبداد التي تسيطر على مجتمعاتنا وأقاليمها العربية ، والاستبداد طبعا له أوجه عديدة عند الجابري ، والمتقوقع والمتمركز ن في الأسرة ، المنظومة الفكرية المنظومة العقدية الطائفية ، المعتقدات الدينية .
- الأصالة والمعاصرة من أهم ماتبنى عليه مفاهيم الجابري .
- سؤال الهوية والذي تنبني عليه الثقافات المتعدّدة، بحيث يخلص دوما إلى السؤال. من أنا؟

من نحن ؟ يستوي في ذلك الفرد والمجتمع .

- نقد العقل البشري وحسن تفعيله وتطويره ، خروجا من الحيّز المغلق والحلقة المفرغة .

7. قائمة المراجع:

1. إبراهيم ,ع .ا .(1997) .*الأدب المقارن في منظور الأدب العربي*.القاهرة ,مصر :دار الشروق.
2. أبو زيد ,ن .ح .(1994) .*نقد الخطاب الديني*.القاهرة ,مصر :سينا للنشر.
3. التوهالي ,ا .(*تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي*.بيروت، لبنان :دار الكتب العلمية.
4. الحباشة ,ص .(2013) .*المنحى الدلالي:دراسات في الاشتراك الدلالي ووجوه المعنى*.عمان ,الأردن :دار الحامد للنشر والتوزيع.
5. الخضري ,م .ب .(1981) .*تاريخ التشريع الإسلامي*.بيروت ,لبنان :دار الكتاب العربي.
6. الشريف ,م .ب .(2004) .*تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف*.الرياض،السعودية :مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية.
7. المتوكل ,أ .(2010) .*الخطاب وخصائص اللغة*.الرباط ,المغرب :منشورات الاختلاف.
8. بوسنة ,ف .(2012) .*انسجام الخطاب في مقامات جمال الدين السيوطي ,مقاربة تداولية ,منشورات مخبرتحليل الخطاب*.برج البحري ,الجزائر : دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع .
9. حضري ,ج .(2010) .*المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية*.بيروت ,لبنان :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
10. ذهبية ,ح .ا .(2012) .*لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب*.تيزي وزو ,الجزائر :الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
11. سعد ,ب .(2006) .*دراسات في الأدب الجاهلي ,النشأة والتطور الفنون والخصائص*.عنابة :منشورات باجي مختار .
12. شلتوت ,م) .د ت .(*الإسلام عقيدة وشريعة*.القاهرة ,مصر :دار الشروق .
13. طوقان ,ق .ح .(1983) .*العلوم عند العرب*.بيروت ,لبنان :دار اقرأ.
14. عروة ,ع .(2000) .*النثر الفني القديم أبرز فنونه وأعلامه*.حيدرة ,الجزائر :دار القيمة للنشر .
15. عميش ,ع .ا .(2012) .*الخطاب بين فعل التثبيت وآليات القراءة ,مركزية البنية وإمبريالية الدلالة*.تيزي وزو ,الجزائر :دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ,المدينة الجديدة.
16. غريب ,ج .(1980) .*من التراث العربي*.بيروت ,لبنان :دار الثقافة.
17. فروخ ,ع .(1982) .*العرب في حضارتهم وثقافتهم*.بيروت ,لبنان :دار العلم للملايين.
18. فروخ ,ع .(1988) .*الثقافة الإسلامية*.بيروت ,لبنان :المكتبة العصرية.
19. مرتاض ,ع .ا .(1999) .*بنية الخطاب الشعري*.بن عكنون ,الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية .
20. منقور ,ع .ا .(2001) .*علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي*.دمشق -سوريا :منشورات إتحاد الكتاب العرب.
21. موسى ,م .ا .(1979) .*حرية الفكر*.بيروت، لبنان :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
22. مونسي ,ح .(2010) .*المشهد السردي في القرآن الكريم*.بن عكنون-الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.
23. يونس ,ع .م .(1990) .*مغالطات في النقد الأدبي*.الجزائر :المؤسسة الجزائرية للطباعة .

8. ملاحق:

ملحق بالجابري

- ✓ محمد عابد الجابري فيلسوف ومفكر مغربي ولد سنة 1935بدينة سيدي لحسن شرق المغرب ، وتوفي بالدار البيضاء في : 03 ماي 2010 عن عمر ناهز 75 عاما .
- ✓ حصل على ديبلوم الدراسات العليا فلسفة سنة 1967 ، ثم دكتوراه الدولة سنة 1970 من جامعة الرباط بالمغرب .
- ✓ عمل في حقل التعليم معلّما ابتدائيا ، ثم مدرّسا ثانويا ، ثم ناظرا .
- ✓ انتقل للتدريس الجامعي بجامعة الرباط بصفة أستاذ للفلسفة .

مؤلفاته:

- ✓ نحن والتراث 1980 قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي .
- ✓ تكوين العقل العربي1982 نقد العقل العربي .
- ✓ إشكاليات الفكر العربي المعاصر 1986 .